هل نجت من الموت؟

ظهور ابنة قيصر الروس

يعلم القراء أن البلاشفة قاموا على قيصر الروس في صيف سنة ١٩١٨ فقتلوه هو وجميع أفراد أسرته ثم قلبوا الحكومة القيصرية وانشأوا على انقاضها حكومة ذات نظام شيوعي وهو النظام الذي لا يزال سائداً في بلاد الروس . وقد كان لمصرع القيصر وأفراد أسرته وقع سيء في جميع البلاد المتمدنة فنفر الناس من البلاشفة وصاروا ينظرون اليهم بعين المقت. ثم راجت بعد ذلك اشاعات عدة بشأن نجاة القيصر او بعض أفراد أسرته ولكن دول الحلفاء تحرين الحقيقة فثبت لها أن البلاشفة قتلوا القيصر وجميع افراد أسرته في ليلة ١٨ يوليو في ايكترينبرج

ومع ذلك ظلت الاشاعات تتردد بان بعض افراد الاسرة القيصرية نجوا فعلا من القتل . ويظهر الآن ان لبعض تلك الاشاعات — على الاقل فيما يختص بالاميرة انستاسيا صغرى كريمات القيصر — شيئا من الصحة

فقد روت الصحف الالمانية خبراً عن هذه الاميرة اذا صدق كان أغرب من كثير من الروايات الخيالية . ويؤخذ من تفاصيل الخبر ومن شهادات كثيرة أنه صحيح وأن صغرى كريمات القيصر نجت من قبضة البلاشفة وهي اليوم حية ترزق في مدينة برلين

وقد قابلتها سيدة انجليزية فكتبت عنها ماخلاصته : الاميرة انستاسيا فتاة في مقتبل العمر زرقاء العينين حمراء الشعر تقيم باحد مستشفيات برلين حيث يعنى بها عناية فائقة . قابلتها مرتين وقضيت معها نحو خمس ساعات وكانت معها مربيتها المدعوة ساشا والتي كانت مربية لجميع كريمات القيصر

في ليلة ١٨ يوليو سنة ١٩١٨ سيق القيصر نقولا وجميع افراد أسرته الى ايكترينبرج حيث اعدموا جميعاً بالرصاص . ويظهر أن الاميرة انستاسيا أصيبت بجرح بسيط فسقطت مغمى عليها والدم يتدفق من جسمها ، وبعد قليل أفاقت فوجدت نفسها في مركبة نقل (كارو) والى جانبها أحد جنود الحرس (واسمه شايكو فسكي) ورجل وامرأة

علمت فيما بعد أنها والدا ذلك الجندي . وعلمت أيضاً أن الجندي كان أحد افراد الشرذمة التي عهد اليها في اطلاق النار على القيصر وأسرته وأن الجثث نقلت على عجل الى أحدى الغابات المجاورة حيث أحرقت . وقد تولى الجندي بنفسه نقل الجثث وتكويمها لاحراقها . ولما علم أن الاميرة الصغيرة لم تمت خبأها ثم هرب بها وبوالديه الى رومانيا

واستغرق فرارهم الي رومانيا ثلاثة أشهر . فلما وصلوا الى بخارست سكنوا في منزل حقير يخص عم الجندي

وهناك تزوج الجندي الاميرة فولد له منها ولد . ولكن حدث في احد شوارع بخارست شغب قتل فيه الجندي بطلق ناري . وكانت انستاسيا قد خاطت بعض الحجارة الكريمة بثوبها فأخذت تبيعها وتنفق منها على نفسها وعلى اسرتها . ومن الامور المشهورة عن آل رومانوف (أسرة قيصر روسيا) انهم كانوا يخيطون الحجارة الكريمة الى ثيابهم ليبيعوها عند الحاجة

وبعد وفاة زوجها عزمت على الذهاب الى المانيا لتعلن نفسها وتطالب بحقوقها . ورافقها في سفرتها هذه اخو زوجها . فلما وصلت الى برلين كانت في حالة يرثى لها من الجوع والفاقة وحاولت مرة أن تنتحر فالقت بنفسها في نهر « سبري » ولكن صياداً انقذها وحملها الى مستشفى الغرباء . وهو احد مستشفيات برلين الشهيرة . فلما سئلت عن اسمها قالت انها الاميرة انستاسيا صغرى كريمات القيصر فسخر الناس منها وظنوها مصابة بخلل في عقلها ولكنها اصرت على قولها فأرسلوها الى مستشفى المجاذيب حيث قضت سنتين . وكانت تأكل وتنام مع امرأة مجنونة في غرفة واحدة واسم هذه المرأة « تيوبرت » وعند نهاية السنتين شفيت « تيوبرت » وخرجت من المستشفى . وكانت الاميرة انستاسيا قد اسرّت اليها قصتها وطلبت منها مساعدتها للنجاة من ذلك المستشفى . فما كان من « تيوبرت » الا أن اطلعت بعض افراد الجالية الروسية ببرلين على حكايتها

واتصل الخبر بالبارون فون كليست أحد وجهاء الروس المقيمين ببرلين . فاهتم بالمسألة اهتماما جديا واخبر « جروتنبرج » مدير البوليس بحكاية انستاسيا . فاخذ

هذا يبحث ويتحرى حتى ظهرت له بوادر الحقيقة فوصل الخبر الى الأميرة سيسيليا ولية عهد بروسيا فذهبت هذه وقابلت انستاسيا في منزل جروتفجرج (مدير البوليس) وتناولت معها الغداء . وبالبحث ثبت لها ان الفتاة صادقة في دعواها فاسرعت وكتبت الى الفراندوقة اولغا (عمة انستاسيا) التي تسكن في كوبنهاجن وأطلعتها على تفاصيل القصة . فما كان من الفراندوقة الا أن حضرت على جناح السرعة واحضرت معها « ساشا » مربية كريمات القيصر قديما . والاستاذ جيليارد مهذب ولي عهد روسيا سابقا

ولم تكن انستاسيا تعلم بان عمتها قادمة لتراها ولذلك دهشت عندما دخلت عليها فصاحت صيحة الفرح وهي في سريرها :

عماه ! عماه ! ثم أخذت تنتحب

واذ ذاك تقدمت «ساشا» فلما رأتها انستاسيا صاحت وهي تبكي وتبتسم في آن واحد زورا ! زورا !

و«زورا» وهو الاسم الذي كانت انستاسيا تنادي به «ساشا» قديما على سبيل التحبب ولم يكن أحد من اسرة القيصر يستعمل هذا الاسم سوى أنستاسيا

«فتقدمت زورا» او «ساشا» من انستاسيا وأخذت تتفحصها فحصا مدققا قالت على أثره : هذه هي انستاسيا بعينها وانا أعرفها كما أعرف نفسي . وقد كان على ظهرها شامة لاتزال باقية حتى الآن . ولها في قدمها اليسرى عظم بارز لايمكن ان يخفى على أحد . وشكل قدميها خاص لايمكن ان يشاه من يراه . وسبابة يدها مرضوضة رضة ظاهرة لأنها اقفلت ذات يوم باب أوتوموبيلها على سبابتها فكادت تقطعها ولايزال اثر ذلك باقيا حتى الآن . فضلا عن ذلك فان ملامحها هي هي لم تتغير مع مرور عدة سنوات

ولما فرغت المربية من تقرير شهادتها أخذت الاميرة انستاسيا بدورها تذكر عمتها ومربيتها ببعض الامور المتعلقة بقصر العمة نفسها وهندسة غرفه وسلالمه الجميلة المستديرة . ثم قالت لمربيتها هل تذكرين «يازورا» كيف كنا نقف على السلالم ونحيي عمتي وكيف كانت والدتي تنزل بنا في كل يوم اثنين الى غرفتها حيث كنا نشاهد مزين القصر يمشط شعرها وكنا نجلس جميعا في اثناء ذلك عند قدميها ؟ وهل تذكرين

أيضا أنه كان عندي يبغاوان ماهران في تقليد الاصوات ؟

وهل تذكرين اليوم الذي كنا فيه على بحث والدي وكان أحد جنود الحرس واقفاً كالصنم في نوبة حراسته فاخذت أسير أمامه جيئة وذهابا لاجعله يحييني تحية عسكرية . ثم تعمدت دفعه من الوراء لاضحك وكانت النتيجة أن والدي في ذلك اليوم عاقبني عقابا شديداً ؟

وظلت تلقي الاسئلة على مربيتها ومربيتها تجيبها بالايجاب وتؤمن على أقوالها ثم ابرزت لها مربيتها صورة فوتوغرافية قديمة تمثل ثلاث نسوة احداهن « ساشا » نفسها والمرأتان الأخريان خادمتان في بلاط القيصر وقد عرفتهما انستاسيا .. فقالت : هذه انت ومرتا وتاتيانا يازورا . والصورة مأخوذة في الغرفة رقم .. من غرف القصر

* **

جرى كل هذا الحديث مع « زورا » التي كانت انستاسيا تميل اليها ميلا خاصاً ثم التفتت الى الاستاذ جيليارد وقالت له : لقد حلقت لحيتك يا أستاذ ...

ثم ذكرت بعض الوقائع التي جرت له في الكرملين فتذكرها الاستاذ جيداً . وقضت الفرندوقة أولئا يوما كاملا مع انستاسيا . ثم ودعتها وانصرفت قائلة لها : لاتحزني يا أنستاسيا فانت الآن لست وحيدة في العالم .

وقد جاءت شهادة الدكتور رودنيف طبيب قصر الكرملين سابقاً مؤيدة لدعوى انستاسيا التي عرفته جيداً وذكرت له حوادث عدة

قالت الكاتبة : وقد زرت انستاسيا مرتين فأقنعتني زيارتي بصحة ماتدعيه هذه الفتاة التي هي الوحيدة الباقية من أسرة القيصر . والمسألة المهمة الآن هي : هل يعترف بها الشعب الروسي وهل يصدق دعواها ؟ وهل تصلح نواة لحزب ملكي يلتف حولها ويعتبرها ممثلة للسلطة القيصرية التي قضى عليها البلاشفة .

(السياسة)